عبد الرحمن الكواكبي ودوره النهضوي

م.م. رنا جواد جاسم
Rana Jawad@gmail.com
الجامعة المستنصرية/ كلية الآداب

الملخص

تعد النهضة من المصطلحات كثر تداولها في الفكر العربي، ومع بداية القرن التاسع عشر شرع العالم العربي بفتح ابوابه لكل الثقافات والمذاهب ولعل النهضة والاصلاح والتنوير من اهم المفاهيم التي تفاعل معها العالم العربي بالتبني حيناً والرفض المطلق حيناً اخر، وبفضل هذا التزاوج بين الفكر الغربي والعربي ظهرت زمرة من المفكرين واختلفت الآراء في تسميتهم فمنهم من قال تنويريون ومنهم من قال مصلحون ومنهم من نعتهم برواد النهضة العربية، وعبد الرحمن الكواكبي من رواد الفكر النهضوي، وكان صاحب رسالة وجاداً في طرحه لأفكاره النهضوية حتى انه مات مسموماً ضحية افكاره التي لا تناسب الحكام المستبدين.

الكلمات المفتاحية: النهضة، الاستبداد، الدين، الحرية.

Abd al-Rahman al-Kawakibi and his Renaissance role

Assistant teacher Rana Jawad Jassim
University of Al-Mustansiriya / College of Arts/ Department of Philosophy

Abstract

The renaissance is on of the terms that was widely used in arab thought. At the beginning. Of thecentury, the arab world began to oben its doors to all cultures and sects, berhaps the renaissance, reform, and enlightrnment are among the most important concepts that the arab world has interacted with. adonting it at times and completely regecting it at other times. Thanks to this marriage between western and arab thought, agroup of thinkers emerged, and opinions differed in naming them. Some of them said they were enlightners, some said they were reformers, and some called them pioneers of the arab renaissance. Abd al- rahman al- kawakibi was one of the pioneers of renaissance thought Ite had amessage and was serious about presenting his

renaissance ideas to the point that he died of poisoning, avictim of his ideas that were not suitable for tryannical rulers.

Keywords: renaissance,tyranny, religion, freedom.

المقدمة

تعد النهضة من المصطلحات التي كثر تداولها في الفكر العربي ، مع بداية القرن التاسع عشر شرع العالم العربي بفتح أبوابه لكل الثقافات والمذاهب ، يتفاعل معها ، ويكون بموجبها مواقف واتجاهات غير قلائل ، ولعل النهضة والاصلاح والتنوير من أهم المفاهيم التي تفاعل معها العالم العربي ، بالتبني حيناً ، وبالرفض المطلق حيناً أخر، وبفضل هذا التزاوج بين الفكر الغربي والعربي ظهرت زمرة من المفكرين واختلفت الآراء في تسميتهم فمنهم من قال تنويريون ومنهم من قال مصلحون ومنهم من نعتهم برواد النهضة العربية .

فاختارنا واحد منهم وهو عبد الرحمن الكواكبي الذي وضح بأن نهضة الأمم هي التخلص من استبداد حكامها .اكمل ثقافته بالاطلاع على عدد من أمهات الكتب في العلوم الطبيعية والرياضية والتاريخية والفلسفية . وإذا كان الكواكبي لم يدرس لغة أوروبية غربية ، لكن هذا الأمر لم يمنعه من الاطلاع على ماعندهم في بعض العلوم وخاصة السياسية من مترجمات ، ويظهر ذلك اكثر مايظهر في كتابه (طبائع الاستبداد).

المبحث الاول : عصر النهضة العربية

أولاً : مشكلات النهضة

أن افكار عصر النهضة عبرت عن مشكلات تعيشها الأمم الأخرى (الاستبداد ، التسلط اللاهوتي ، محاربة العلم والفلسفة ، محاربة العقل بالإجمال ...)[١] وهذه مسألة تحتاج إلى تدقيق ، لأن اختلاف التطور العالمي ،لايوجد التمايز فقط ، بل أنه لا يلغي التشابه ،لهذا قال ماركس في مقدمة راس المال ، أن بلداً ((أكثر تطوراً من الناحية الصناعية لا يظهر لبلد أقل تطوراً منه سوى لوحة مستقبله هو)). [٢]

وهذا مابدأ واضحاً في الوطن العربي منذ بداية القرن التاسع عشر ، بعد ظهور عوامل جديدة ساعدت على الاحتكاك الثقافي بالغرب ،والتي كانت تؤمن بامكان تقدم المجتمع الإنساني في كل المجالات ، ولاشك ان هذه التحولات تمثل نقلة ثقافية واجتماعية وسياسية من حالة التأخر والجمود إلى حالة أكثر تقدماً وحركة ، أي نقلة من مرحلة تسودها ثقافة تقليدية متوارثة ساكنة وراكدة تخشى التغيير بحجة المحافظة على التوازن داخل المجتمع إلى مرحلة أكثر

[١] () كيلة ،سلامة : النهضة المجهضة ، ٢٠١١،ص١٨

[٢] () ماركس ،كارل : راس المال ، مج١، مكتبة المعارف، بيروت،١٩٨٢،ص١٣.

دينامية تقوم على تقبل الجديد الوافد وتحاول التكيف معه نحو تحقيق التقدم [١] . إن عصر النهضة هو العصر الذي بدأ الفكر فيه يأخذ دوره في سياق الحركة الاجتماعية ، منذ بداية القرن التاسع عشر ، والذي بدأ وهذا ماأعتقد أننا يجب أن نعيه جيداً ، بفعل التوسع الاستعماري، الذي أخذ في الزحف نحوناً، مرة عسكرياً ، وأخرى تجارياً ، وثالثة مالياً، لكنه في كل الأحوال أيقظ (جثة ميتة)، وزعزع أساطير سادت لقرون ثمانية تقريباً. [٢]

فلهذا يوكد فاروق أبو زيد في كتابه ان عصر التنوير العربي لم يسبقه (عصر نهضة عربي) وأنما هو عصر تنوير ونهضة في الوقت نفسه [٣] ، فيبدأ عصر النهضة العربي منذ ان حدث اول لقاء بين العقل العربي ، والعقل الأوروبي بمجي حملة بونابرت إلى مصر عام ١٧٩٨[٤] .

عندما هبط الجيش الفرنسي بقيادة نابليون على شواطئ الاسكندرية وقضائه على جيوش المماليك في مصر باعتبارهم العائق أمام النهضة ، لما فرضوه من جمود فكري ، وبالتالي كان اندحارهم أمام جيوش نابليون يمثل بداية النهضة العربية . [٥]

ب/ موقف الكواكبي من الاخر

إن عصر النهضة هو العصر الذي بدأ الفكر ياخذ دوره في سياق الحركة الاجتماعية ، منذ بداية القرن التاسع عشر ، والذي بدأ ، وهذا ماأعتقد أننا يجب أن نعيه جيداً ، بفعل التوسع الاستعماري ، الذي اخذ في الزحف نحوناً ،مرة عسكرياً،وأخرى تجارياً ، وثالثة مالياً ، لكنه في كل الأحوال أيقظ "جثة ميتة"، وزعزع أساطير سادت لقرون ثمانية تقريباً. [٦]

فنأخذ على سبيل المثال عبد الرحمن الكواكبي ودوره في النهضة العربية

ثانياً : موقف الكواكبي من الاستبداد

نلاحظ أن ماجاء به الكواكبي عبر عن حالة من التقدم ، فهو يعتبر قضية التجديد قضية حاصلة ، لهذا نراه يحاول تأسيس (منظومة إيديولوجية) متماسكة ، تؤول القرآن ، وتضع تصورات سياسية ،ودينية جديدة ، خصوصاً في مسائل النظام السياسي ، وضع المجتمع ، قضية الأمة والشعب ((إنه لايكتفي بالدعوة إلى التجديد ،بل أنه يجدد، ولايكتفي من ملائمة الدين مع العصر ، بالحض على دراسة العلوم الطبيعية ، بل يغوص في الفكر السياسي ، داعياً

() [١] أعمال المؤتمر الفلسفي الحادي عشر ،٢٠١٢، ص٢٠

() [٢] كيلة ، سلامة : النهضة المجهضة ،ص٦٥

() [٣] ابوزيد ، فاروق :عصر التنوير العربي ، ١٩٧٨،ص١٤

() [٤] المصدر نفسه، ص١٥.

() [٥] أبو العز ،زكريا : الفكر العربي الحديث والمعاصر ، دار الميسرة للنشر والتوزيع، عمان، ط١،٢٠١٢،ص١٢٠

() [٦] كيلة ،سلامة : النهضة المجهضة ،ص٦٥

إلى التجديد ، فالقضية بالنسبة له ليست العلوم الطبيعية فقط ، بل والسياسية أيضاً ، التي يعتبر غيابها من أسباب تخلف العرب ، ولهذا نراه يدعو إلى تحقيق ماحققته أمم الغرب دون خشية [١]

ماقام به الكواكبي هو اتباع الخطوات في كشف عن مشكلة التخلف المتعلقة برفض الانتماء اولاً إلى أي مذهب وتحديد المشكلة التي هي برأيه مشكلة رئيسية في حالة حلها تنحل جميع أو أغلب مشاكل المجتمع العربي والاسلامي الا وهي مشكلة الاستبداد ، فاتخذ الكواكبي المنهج النقدي حينما حدد هذه المشكلة واستوعب أن المجتمع العربي لايكون فاعلاً ولايتجاوز أزمتة التاريخية المرحلية الا بتطبيق الديمقراطية ونشر الحرية والايمان بالمساواة اللتين تشكلان الحجر الاساس للديمقراطية . [٢]

الاستبداد في اصطلاح السياسين هو تصرف فرد أو جمع في حقوق قوم بالمشيئة وبلا خوف تبعة ، وقد تطرأ مزيدات على هذا المعنى الاصطلاحي فيستعلمون في مقام كلمة (استبداد) كلمات : استعباد ، واعتساف ، وتسلط ، وتحكم . وفي مقابلتها كلمات : مساواة ، وحس مشترك ، وتكافؤ ، وسلطة عامة . ويستعملون في مقام صفة (مستبد) كلمات : جبار ، وطاغية ، وحاكم بأمره ، وحاكم مطلق . وفي مقابلة (حكومة مستبدة) كلمات : عادلة ، ومسؤولة ، ومقيدة ، ودستورية . [٣]

أما تعريف الاستبداد بالوصف عند الكواكبي فهو ان " الاستبداد صفة للحكومة المطلقة العنان فعلاً أو حكماً التي تتصرف في شؤون الرعية كما تشاء بلا خشية حساب ولاعقاب محققين[٤] ، "ويفسر الكواكبي ذلك هو كون " الحكومة إما هي غير مكلفة بتطبيق تصرفها على شريعة ، أو على أمثلة تقليدية ، أو على إرادة الأمة ، وهذه حالة الحكومات المطلقة . أوهي مقيدة بنوع من ذلك ولكنها تملك بنفوذها إبطال قوة القيد بما تهوى ، وهذة حالة الحكومات المطلقة . أوهي مقيدة بنوع من ذلك ولكنها تملك بنفوذها إبطال قوة القيد بما تهوى ، وهذه حالة أكثر الحكومات التي تسمي نفسها بالمقيدة أو بالجمهورية[٥] ،((فالحكومة المستبدة يظهر استبدادها في كل فروعها ، من المستبد الأعظم ، إلى الشرطي إلى الفراش ، إلى كناس الشارع، ولايكون كل صنف من هؤلاء إلامن أسفل طبقته لأنه لايهمهم المجد باستجلاب محبة الناس إنما يهمهم التمجد بأكتساب ثقة رئيسهم المستبد)) . [٦]

[١] () المصدر نفسه، ص٧١.

[٢] () نصار،ناصيف :الاستقلال الفلسفي ، دار الطليعة ،بيروت ،١٩٧٩،ط١،ص٢٢

[٣] () الكواكبي ،عبد الرحمن :طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، دار الندى للثقافة والنشر، ٢٠٠٤ ،ص٢٣

[٤] () المصدر نفسه، ص٢٤.

[٥] ()الكواكبي ،عبد الرحمن :طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، ص٢٤.

[٦] () نقلاًعن : حمزة ،محمد شاهين :عبد الرحمن الكواكبي العبقرية الثائرة ، المطبعة النموذجية، القاهرة ـ مصر، ط١، ١٩٥٨، ص٢٢.

فالمستبد يود أن تكون رعيته كالغنم دراً وطاعة . وكالكلاب تذللا وتملقاً وعلى الرعية أن تكون كالخيل ، أن خُدمت خَدمت وأن ضُربت شَرست ، بل عليها ان تعرف مقامها هل خلقت خادمة للمستبد ، أم هي جاءت به ليخدمها فاستخدمها. [١]

يبغض المستبد العلم لنتائجه . كما يبغضه لذاته ، لأن للعلم سلطاناً أقوى من كل سلطان ، فلابد للمستبد من ان يستحقر نفسه كلما وقعت عينه على من هو أرقى منه علماً . ولذلك لايحب المستبد أن يرى وجه عالم ذكي . فاذا اضطر لمثل الطبيب والمهندس يختار المتصاغر المتملق . [٢]

الاستبداد وباء مهمته قتل الحس بالكرامة عند المتمجدين ،ودفع من سواهم من أبناء المجتمع إلى الخمول ،أو إلى اليأس من كل تقدم ، ولذلك ترى من يعيش في ظل حكم مستبد غير أبه بكل مايحصل حوله ، ولاتعنيه حياته بشي ،بعكس الإنسان المتحرر الذي يمتاز بالجد والعزيمة ، فنظرة بسيطة على واقع المجتمعات نرى أنه ((يعيش الإنسان في ظل العدالة والحرية نشيطاً على العمل بياض نهاره ، وعلى الفكر سواد ليله ،.... أما أسير الاستبداد فيعيش خاملاً خامداً ضائع القصد ، حائراً لايدري كيف يميت ساعاته وأوقاته ويدرج أيامه وأعوامه ، كأنه حريص على بلوغ أجله ليستتر تحت التراب ، والأثر السلبي للاستبداد يظهر أكثر في تزوير القيم الأخلاقية ، وإعطائها مفاهيم مقلوبة كتسمية الإنسانية حماقة ، والشهامة عثواً...إلخ.)). [٣]

والاستبداد عدو الحق ، ونقيض الحرية ، ولايمكن مقاومته الإ بالإعداد فلا يفل الحديد إلا الحديد ؛ فالظالم لايخاف إلا الأدوات نفسها التي يستخدمها في ممارسته الظلم ، وإلافإنه سيتمادى في غيه ويتمنى لو ان كان الناس يتحولون إلى غنم تطيعه وتدر له الرزق ، فإنه سيتمادى في غيه ويتمنى لو ان كان الناس يتحولون إلى غنم تطيعه وتدر له الرزق ، فإنه من مصلحة المستبد أن يغفل الناس عن حقوقهم ، فيتحكم في شؤونهم حسب هواه ، وتكون أحكامه ما تطلبه مصلحة ، دون الالتزام بشريعة فيها مصلحة الجماعة . [٤]

فخلاصة القول عند الكواكبي ان الاستبداد " داء أشد وطأة من الوباء ، أكثر هولاً من الحريق ، أعظم تخريباً من السيل ، أذل للنفوس من السؤال ،داءٌ إذا نزل بقوم سمعت أرواحهم هاتف السماء ينادي القضاء القضاء والأرض تناجي ربها بكشف البلاء . الاستبداد عهد أشقى الناس

[١]() المصدر نفسه، ص٧٥.

[٢]() المصدر نفسه، ص٧٦.

[٣]() السحمراني، اسعد: الاستبداد والاستعمار وطرق مواجهتهما عند الكواكبي والابراهيمي، دار النفائس، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م، ص٦٩-٧٠.

[٤]() المصدر نفسه، ص٦٨.

فيه العقلاء والأغنياء ، وأسعدهم بمحياه الجهلاء والفقراء ، بل أسعدهم أولئك الذين يتعجلهم الموت فيحسدهم الأحياء ". [١]

فيضع الكواكبي قواعد لرفع الاستبداد وهي :

١- الأمة التي لايشعر كلها أو أكثرها بآلام الاستبداد لاتستحق الحرية .

٢- الاستبداد لايقاوم بالشدة إنما يقاوم باللين والتدرج .

٣- يجب قبل مقاومة الاستبداد تهيئة ماذا يستبدل به الاستبداد .

هذه القواعد تبعد أمال الأسراء ، وتسر المستبدين ، لأن ظاهرها يؤمنهم على استبدادهم . ولهذا أذكر المستبدين بما أنذرهم به الفياري المشهور حيث قال : " لايفرحن المستبد بعظيم قوته ومزيد احتياطه فكم من جبار عنيد جَنْدَلُهُ مظلوم صغيرً ، وإني أقول : كم من جبار قهار أخذه الله عزيز منتقم .[٢]

المبحث الثاني / الاستبداد والدين

اولا: علاقة الاستبداد بالدين

قد بحث الكواكبي في موضوع علاقة الاستبداد بالدين ، ونقل عن الفرنج رأيهم في أن الاستبداد في السياسة متولد من الاستبداد في الدين أو مساير له . فكثير من الأديان تنبث في نفوس الناس الخشيةَ من قوة عظمية لاتدرك كنهها العقول ، وتهددهم بالعذاب بعد الممات تهديداً ترتعد منه الفرائض ؛ ثم تفتح باباً للخلاص والنجاة بالالتجاء إلى الأحبار والقسس والمشايخ ، بالذلة لهم ،أضر على الدين من الشياطين . [٣]

وكذلك يقول الكواكبي " وعندي أن داءنا الدفين دخول ديننا تحت ولاية الجهال المعممين " ثم يجري على لسان إحدى شُخصياته أن المعممين في البلاد العثمانية كانوا قد (أتخذوا لأنفسهم قانوناً سموه طريق العلماء من شأنه أن يصبح العلم منحة رسمية وأن الرجل يرقى في مراتب العلم والكمال والفضل بمجرد تقادم السنين أو ترادف العنايات ويحظى بألقاب رسمية منها (أعلم العلماء المحققين)و (أفضل الفضلاء المدققين) و(أقضى قضاة المسلمين) و(أعلم العلماء المحققين)و (أفضل الفضلاء المدققين) و(أقضى قضاة المسلمين) و(أعلم العلماء المتجرين)و(أفضل الفضلاء المتورعين)و(أعلم العلماء المتجرين)و(افضل الفضلاء المتورعين) وغير ذلك. [٤]

(١) الكواكبي ،عبدالرحمن:طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد،ص٧٢.

(٢) المصدر نفسه، ص١٢٤-١٢٥.

(٣) أمين،أحمد:زعماء الاصلاح في العصر الحديث، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، د.ت، ،ص٢٥٥.

(٤) حمزة ،محمد شاهين:عبد الرحمن الكواكبي العبقرية الثائرة،ص١١٠.

أن هذه الالقاب التي يضيفها السلطان على هؤلاء لها مقابل ، هو أن يضفى هؤلاء بدورهم على السلطان ألقاباً كصاحب العظمة والجلال ، وظل الله ، وخليفة رسول الله ، وسلطان السلاطين، ومالك رقاب العالمين ، وملجأ أهل الخافقين ، والذات الأقدس ، إلى غير ذلك من صور الشرك. [١]

والاعتراف أمامهم ،وطلب الغفران منهم . والمستبدون السياسيون يتبعون هذه الطريقة فيسترهبون الناس بالتعالي والتعاظُم ، ويذلونهم بالقهر والقوة وسلب الأموال ، حتى لايجدوا ملجأ إلا التزلف لهم وتملقهم !وعوامَ الناس يختلط عليهم في أذهانهم الإله المعبود والمستبدون من الحكام ، فيتشابه عندهم استحقاق التعظيم ، وينزهونهم عن سؤالهم عمايفعلون ، ولايرون لهم حقاً في مراقبتهم على أعمالهم ، كما أنه ليس لهم حقَ في مراقبة الله فيما يفعل . [٢]

ومن أهم دسائس المتعممين أنهم ينفثون في صدور الأمراء لزوم الاستمرار على الاستقلال في الرأي وإن كان مضراً ، ومعاداة الشورى وإن كانت سنة ، والمحافظة على الحالة الجارية ، وإن كانت سيئة . ويلقون عليهم بان مشاركة الأمة في تدبير شؤونها وإطلاق حرية الإنتقاد لها يخل بنفوذ الأمراء ،ويخالف السيادة الشرعية ، ويلقنونهم حججاً واهية لولا أن أمامها جهل الأمة ووراءها سطوة الإمارة لما تحركت بها شفتان ، ولاتردد في ردها إنسان . بهذا عند العثمانيين وبأشباهه عند أكثر حكومات المسلمين ضل المتعممون ، وصارو. . . [٣]

ثانياً : محاربة البدع

يرى" أن البدع التي شوشت الايمان وشوهت الأديان تكاد كلها تتسلسل بعضها من بعض وتتولد جميعها من غرض واحد هو المراد ، ألاهو الاستعباد . والناظر المدقق في تاريخ الإسلام يجد للمستبدين من الخلفاء والملوك الأولين وبعض العلماء الأعاجم وبعض مقلديهم من العرب المتأخرين اقوالاً افتروها على الله ورسوله تضليلاً للأمة عن سبيل الحكمة ، يريدون بها إطفاء نور العلم وإطفاء نور الله ، ولكن أبى الله إلا أن يتم نوره ؛ فحفظ المسلمين كتابه الكريم الذي هو شمس العلوم وكنز الحكم من أن تمسه يد التحريف وهي إحدى معجزاته لأنه قال فيه : [إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون] فما مسه المنافقون إلا بالتأويل وهذا أيضاً من معجزاته ؛ لأن أخبر عن ذلك في قوله :[فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله]. [٤]

ولقد رأى الكواكبي أن الإسلام في جوهره الأصيل لاينطبق عليه هذا القول ، فهو مبني على قواعد الحرية السياسية متوسطة بين الديمقراطية والارستقراطية ، فهو مؤسس على أصول

[١]()حمزة ،محمد شاهين:عبد الرحمن الكواكبي العبقرية الثائرة،ص١١٠.
[٢]() امين ،أحمد زعماء الاصلاح في العصر الحديث،ص٢٥٥.
[٣]()حمزة ،محمد شاهين:عبدالرحمن الكواكبي العبقرية الثائرة،ص٩٩
[٤]()الكواكبي ،عبدالرحمن:طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد،ص٣٩

ديمقراطية (أي المراعاة التامة للمصلحة العامة)، وعلى شورى أرستقراطية ، أي شورى الخواصَ ، وهم أهل الحل والعقد ؛ فالقرآن مملوء بتعاليم تقضي بإماتة الاستبداد ، والتمسك بالعدل ، والخضوع لنظام الشورى ،من مثل))وشاورهم في الأمر))، ((وأمرهم شورى بينهم)) ثم لايعرف الإسلام سلطة دينية ،ولا اعترافاً،ولابيع غفران ، ولامنزلة خاصة لرجال الدين . ولكن دخل عليه من الفساد مادخل على كل دين ، فتفرقت كلمة المسلمين وانقسموا شيعاً ، وتحول الحكم من نظام شورى إلى الاستبداد ، فصغرت نفوس الناس وخفت صوتهم ، وأضاعوا مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهو المبدأ الذي به يراقب أولو ا الأمر في الأمة ؛ فصار أمر المسلمين إلى مانرى . [١]

نجد أن نزعته الإسلامية قد اتسمت بالعقلانية المجردة عن الغيبيات والحركات الصوفية المتأخرة التي لوثت الشعائر الإسلامية بحلقات رقص وطرب وشعوذة أحياناً كضرب الشيش ولعق الحديد المحمي وسوى ذلك من البدع وسوى ذلك من البدع التي لا يرضى بها الدين الإسلامي المبني على العقل المجرد وحرص كثيراً على التحقق من صحة الاحاديث المروية عن الرسول المعظم وفي تفسير الأيات والأحاديث الصحيحة ونبذ كل تفسير أدى أو يودي إلى التقهقر أو الخنوع لصاحب السلطان ، كقوله في شأن إطاعة أولي الأمر إنهم أصحاب الرأي والشأن وليس السلطان منهم . ومن ذلك قوله تعالى : و (أمرهم شورى بينهم) و(شاورهم في الأمر) فالأمر هو الرأي المطروح للتداول ، ولا يحمل صيغة الإلزام. [٢]

المبحث الثالث / الحرية عند الكواكبي

أولاً : الغاية لنيل الحرية

يشير الكواكبي أنه يجب قبل مقاومة الاستبداد تهيئة ماذا يستبدل به الاستبداد هو :أن معرفة الغاية شرط طبيعي للإقدام على كل عمل ، كما أن معرفة الغاية لاتفيد شيئاً إذا جهل الطريق الموصل إليها ، والمعرفة الإجمالية في هذا الباب لاتكفي مطلقاً ، بل لابد من تعيين المطلب والخطة تعييناً واضحاً موافقاً لرأي الكل أو لرأي الاكثرية التي هي فوق الثلاثة أرباع عدداً أو قوة باس وإلا فلا يتم الأمر ؛ حيث إذا كانت الغاية مبهمة نوعاً يكون الإقدام ناقصاً نوعاً ، وإذا كانت مجهولة بالكلية عند قسم من الناس أو مخالفة لرأيهم فهؤلاء ينضمون إلى المستبد فتكون فتنة شعواء ؛ وإذا كانوا يبلغون مقدار الثلث فقط ، تكون حينئذ الغلبة في جانب المستبد مطلقاً [٣]

[١]() امين، احمد: زعماء الاصلاح في العصر الحديث، ص٢٥٦.

[٢]() الكواكبي، سعد زغلول: عبد الرحمن الكواكبي السيرة الذاتية، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت . لبنان، ط١، ١٩٩٨، ص١٥٢.

[٣]() الكواكبي، عبد الرحمن: طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد ،ص١٣٠

فمتى وضحت الغاية المرسومة يجب في إقناع الناس بها واستجلاب رضاهم عنها وحملهم على النداء بها ، ويجب ان ينشر ذلك في كل الطبقات حتى يصبح عقيدة ، فيتلهفوا جميعاً على نيل الحرية وتحقيق المثل الذي ينشدونه ، عندئذ لايسع المستبد الإجابة طوعاً أو كرهاً . [١]

فيقول الكواكبي للشرق والشرقين : ((إن الحرية هي شجرة الخلد ، وسقياها قطرات من الدم المسفوح ، والأسارة هي شجرة الزقوم ، وسقياها أنهر من دم المخاليق المخانيق)) ، يصف الحكومة العادلة فيقول)) حيث تكون القوة كلها في يد الأمة . والأمة لاتجتمع على ضلال ، وحين تحاكم المحاكم السلطان والصعلوك على السواء ، وتحاكي في عدالتها المحكمة الإلهية . وحين يكون الموظفون وكانهم ملائكة لايعصون أمراً من أمور الأمة ، وتكون الأمة ساهرة يقظة على مراقبة سير أمورها . لاتغفل ولاتتسامح ، كما أن الله لايغفل عما يفعل الظالمون حين تكون حكومة عادلة بهذة الصورة ، وشعب يقظاً غير متسامح في حقوقه ، فإن الله ينجي الناس من المهالك ، لأنه تعالى لايهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون)) . [٢]

فنجد الكواكبي يعالج الوضع ويطرح أفكاره في أناة فهذا ان دل على شئ فيدل على انه مفكر رزين الذكاء وهادى الطبع كما ذكر اغلب الذين كتبوا عنه فيبدأ باصلاح الأنسان لذاته كمايقول ان الله لايظلم قرية وأهلها مصلحون ثم لاينطلق الى الاصلاح العام فهو شخص الداء واعطى الدواء فالداء في المجتمع وهو الاستبداد الذي اعتبره الأفة التي نخرت جسم الأمة العربية وأما الدواء فهي الحرية .

وفي النهاية نجد ان أثر الفارابي وارائه تبرز عند الكواكبي من خلال ان الفارابي يريد حكومة عالمية واحدة ، والثاني يريد ذلك ولكن في خطى متدرجة ، وكلا الرجلين يستمد أراءه من نبع إسلامي رائق صاف يقيم الحكم على قواعد من الخلق والروح ، وذلك هو وجه خلاف كبير بينهما معاً من جانب ، وبين بقية الباحثين والمفكرين الغربيين الذين لايقيمون وزناً لهذين العنصرين ويؤثرون عليهما المادة من جانب اخر . [٣]

ثالثاً : موقف الكواكبي من الاخر (الغرب)

يتابع الكواكبي مشروعه بالمطالبة أن يفتح "باب أخذ العلوم والفنون النافعة ولو عن المجوس، وسد باب إضاعة الأوقات بالعبث ". [٤]

ويستتبع ذلك أن يوضح حد للاسترقاق ، وأن تعطي مسائل غير الجند والحرب بعض الاهتمام ، وفي ظل توفير مناخ الحرية ، والسماح بالاطلاع ، تتطلب الأمور عندها أن يفتح باب الاجتهاد

[١]() امين، احمد: زعماء الاصلاح، ص٢٥٦ـ ٢٥٧.

[٢]() نقلا عن : حمزة، محمد شاهين: عبد الرحمن الكواكبي العبقرية الثائرة، ص٣٠.

[٣]() المصدر نفسه، ص١٨.

[٤]() الكواكبي، عبد الرحمن: ام القرى، مطبعة محمود الفندي، د. ت، ص٤١.

والنظر الشرعي والعقلي ، لأن في ذلك نقلة إلى الإمام ، من حالة التاكل التي تعيشها الشعوب العربية والإسلامية ، حتى في مسائل الفقه ، بسبب توقف الاشغال المتواصل بالاجتهاد ، والاجتهاد لا يعطي ثماره ، ويكون له أثره الفاعل إلافي جو الحكم الثوري الذي يعطي لأهل الحل والعقد حرية التخطيط والعمل والاختيار. [١]

ومع تفتح بلادنا على الغرب ، أصاب كثيرون حالة من النوم المغناطيسي ، تجاه ما عند الاوروبيين ، ينقلون غثه وثمينه ، يستبدلون قيمهم وأخلاقهم بقيم وعادات الغرب تحت شعار المثل الشعبي (كل افرنجي برنجي) ، ومثل هؤلاء لاخير فيهم ،بل هم كلمة خبيثة أريد بها مسح شخصية أمتنا وحضارتنا ، وقد حذر الله تعالى من مثل هذا الفعل بقوله : (ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض مالها من قرار)[٢]

ويقول عن الناشئة المتفرنجة :"أما الناشئة المتفرنجة فلا خير فيهم لأنفسهم فضلاً عن أن ينفعوا أقوامهم وأوطانهم شيئاً ،... تتجادلهم الأهواء كيف شاءت ،...ويرون غيرهم من الأمم يتباهون بأقوامهم ويستحسنون عاداتهم ومميزاتهم فيميلون لمناظرتهم ، ولكن لايقون على ترك التفرنج ، كأنهم خلقواأتباعاً،...والحاصل أن شؤون الناشئة المتفرنجة لاتخرج من تذبذب وتلون ونفاق ، يجمعها وصف الاخلاق ". [٣]

الخاتمة

في نهاية هذا البحث نرى أن موضوع النهضة من المواضيع المهمة التي بذلت الكثير من الجهود لكتابتها في الفكرين الغربي والعربي على حد سواء ، ولكن المعروف عند الغرب قد حسم أمره وحصدت نتائجه منذ زمن بعيد ، بينما في الفكر العربي بقي يعاني من حالة التعثر والانغلاق التاريخي . فعبد الرحمن الكواكبي من رواد الفكر النهضوي ، وكان صاحب رسالة وجاداً في طرحه لأفكاره النهضوية حتى أنه مات مسموماً ضحية افكاره التي لاتناسب الحكام المستبدين . وقد توفي وهو تاركاً مشروعه الإصلاحي ، ومنبهه للعرب والمسلمين من أجل الخروج من واقعهم المزري في كتابين هامين : طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد وأم القرى. فالكواكبي كان حضوره النهضوي هو بدء باصلاح الذات الانسانية نفسها ثم الانطلاق الى الاصلاح العام حيث بين بعدم التملق للمستبد وتعظيمه واطلاق الألقاب عليه مثل (خليفة رسول الله) و(ظل الله) و (كصاحب العظمة والجلال) وغيرها من الألقاب التي تطلق العنان والغرور في نفس الحاكم فهو هنا يفسح المجال للفكر الانساني بالحضور والتالق والأخذ من

[١]() السحمراني، اسعد: الاستبداد والاستعمار وطرق مواجهتهما عند الكواكبي والابراهيمي، ص٨١.

[٢]() نقلا عن: المصدر نفسه، ص٨٢.

[٣]() الكواكبي، عبد الرحمن: ام القرى، ص١٩٧. ١٩٨.

الاخر (اي الغرب) والاستفادة من تجربته والى الاقتداء والتمسك بالعلم لأنه من الأمور التي يخشاها الحاكم المستبد .

المصادر

- أبو زيد ، فاروق : عصر التنوير العربي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ،ط١، ١٩٧٨ .

- أبو العز ، عزمي زكريا : الفكر العربي الحديث والمعاصر ، دار الميسرة للنشر والتوزيع ، عمان، ط١ ، 2012.

- أمين ، أحمد : زعماء الاصلاح في العصر الحديث ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان ، د.ت .

- حمزة ،محمد شاهين : عبد الرحمن الكواكبي أو العَبقريَة الثائرة ، المطبعة النموذجية ، القاهرة – مصر ، ط١ ،١٩٥٨ .

- السحمراني ،اسعد : الاستبداد والاستعمار وطرق مواجهتهما عند الكواكبي والأبراهيمي ، دار النفائس ،بيروت ،ط١، ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤م.

- الكواكبي ، سعد زغلول : عبد الرحمن الكواكبي السيرة الذاتية ، بيسان للنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، ط١ ،١٩٩٨ .

- الكواكبي ، عبد الرحمن : طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد ، دار المدى للثقافة والنشر ، ٢٠٠٤.

- الكواكبي ، عبد الرحمن : أم القرى ،مطبعة محمود أفندي طاهر صاحب جريدة العرب ، د،ت.

- كلية ،سلامة : النهضة المجهضة ، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت –لبنان،٢٠١١.

- ماركس ، كارل : راس المال ، مج١، مكتبة المعارف، بيروت،١٩٨٢.

- المرهج ،علي عبد الهادي : فكرنا المعاصر بين الفلسفة والايديولوجية ، اعمال المؤتمر الفلسفي الحادي عشر ،بيت الحكمة ،بغداد ، ٢٠١٣.

- نصار ،ناصيف : الاستقلال الفلسفي ، دار الطليعة ،بيروت – لبنان ، ط١ ،١٩٧٩،ص٢٢.

– –Abu Zaid, Farouk: The Age of Arab Enlightenment, Arab Foundation for Studies and Publishing, Beirut, 1st edition, 1978.

– Abu Al–Ezz, Azmi Zakaria: Modern and Contemporary Arab Thought, Dar Al–Maysara for Publishing and Distribution, Amman, 1st edition, 2012.

- Amin, Ahmed: Leaders of Reform in the Modern Era, Dar Al-Kitab Al-Arabi, Beirut - Lebanon, ed.

- Hamza, Muhammad Shaheen: Abd al-Rahman al-Kawakibi or the Rebellious Genius, Model Press, Cairo - Egypt, 1st edition, 1958.

- Al-Sahmarani, Asaad: Tyranny and colonialism and ways to confront them according to Al-Kawakibi and Al-Ibrahimi, Dar Al-Nafais, Beirut, 1st edition, 1404 AH - 1984 AD.

- Al-Kawakibi, Saad Zaghloul: Abdul Rahman Al-Kawakibi's Autobiography, Bisan Publishing and Distribution, Beirut - Lebanon, 1st edition, 1998.